التربية

عناصر الموضوع

مفهوم التربية	٣٠٤
التربية في الاستعمال القرآني	٣٠٦
الألفاظ ذات الصلة	٣٠٧
الله تعالى المربي لعباده	٣٠٩
الأنبياء عليهم السلام والتربية	٣١٢
مجالات التربية	٣١٤
خصائص التربية في القرآن	٣٢١
مقاصد التربية في القرآن	٣٢٧
من أساليب التربية في القرآن	٣٣١
التربية بين القرآن والمناهج البشرية	٣٣٩

مفهوم التربية

أولًا: المعنى اللغوي:

أصل كلمة التربية: إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولًا ثلاثة:

الأول: ربا يربو.

الثاني: ربا يربي على وزن خفى يخفي.

الثالث: ربّ يربّ بوزن مدّ يمدّ[١].

وكلمة التربية في المعاجم العربية استخدمت لعدة معان، ويمكن إرجاع تلك المعاني إلى أصول خمسة، وهي:

١. **النماء والزيادة:** من ربا يربو بمعنى زاد ونما، ويقول ابن منظور: «ورب المعروف والصنيعة والنعمة، أي: نماها وأتمها وأصلحها»[٢].

٢. **النشأة:** قال ابن منظور: «ربي يربى على وزن خفي يخفى، أي: نشأ وترعرع، وعليه قول ابن الأعرابي: فمن يكون سائلًا عني فإني بمكة منزلي، وبها ربيت»[٣].

٣. **الحفظ والرعاية:** قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]. أي: ألم ننعم عليك ونقم بتربيتك منذ كنت وليدًا في مهدك ولم تزل كذلك. ولبثت فينا من عمرك سنين»[٤].

٤. **الإصلاح والتأسيس:** قال ابن سيده: «ربّيت أي: أصلحت»[٥]. ويقول أبو هلال العسكري: «والصفة برب أيضًا تقتضي معنى المصلح، ومنه ربّيت النعمة إذا أصلحتها بإتمامها»[٦]. ولم نجد غيرهما يذكر هذا المعنى.

٥. **الرسوخ في العلم:** قال ابن منظور: «الرّبّاني من الرب بمعنى التربية، وقال ابن الأعرابي: الرباني: العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها. والرباني: الراسخ

(١) انظر: الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي الشحود، ص ٧-٨، أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي ص ١٧-١٨.
(٢) لسان العرب، ابن منظور ١/ ٣٩٩.
(٣) المصدر السابق ١٤/ ٣٠٤.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ١٩/ ٣٦٧.
وانظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٨٢.
(٥) المخصص، ابن سيده ٣/ ١٠.
(٦) الفروق اللغوية ١/ ٢٤٧.

في العلم، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى»[١].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

هناك اختلاف في معنى التربية بين القدماء والمعاصرين:

فالتربية في القديم هي وسيلة لتحصيل المعرفة، ولكن التربية عند المعاصرين أخذت معنى أشمل، فالتربية عندهم طريقة لإعداد الإنسان الصحيح والصالح والمتميز بسلوكه الفكري والإنساني والقادر على توظيف مصادر المعرفة لديه في حل مشاكله ومشاكل مجتمعه[٢].

فالتربية هي: «كل عملية أو مجهود أو نشاط تؤثر في سلوك الإنسان أو تكوينه، أيًا كان مصدر هذه العملية: سواء أكان الإنسان بنفسه، أم البيئة الطبيعية، أم المجتمع الذي يعيش فيه.فالإنسان خاضع باستمرار لعمليات تغيير في تكوينه الجسمي والعقلي والخلقي والنفسي والاجتماعي، وهذه العمليات هي التربية. فغاية التربية هي مساعدة الإنسان على تنمية ملكاته وقدراته واستعداداته ودوافعه جميعها، وتكييفها، وإيجاد التوازن بينها وبين البيئة التي تعيش بها»[٣].

(١) لسان العرب، ١/ ٤٠٠.
(٢) انظر: المباديء التربوية في القرآن الكريم، محمد صالح، ص ٤.
(٣) مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، محمد الدخيل،ص ١٢.

التربية في الاستعمال القرآني

وردت (التربية) في القرآن الكريم مرتين[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	١	﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٤]
الفعل المضارع	١	﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء:١٨]

وجاءت التربية في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي، وهو: الحفظ والرعاية[2].

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب الراء، ص٥٦٣.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٨٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ التزكية:

التزكية: لغة:

التزكية في مادتها اللغوية تدور حول: الإصلاح، والتطهير، والثناء الجميل والمدح، والنماء والزيادة[١].

التزكية اصطلاحًا:

تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وسلبيات، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصلاح[٢].

الصلة بين التزكية والتربية:

عن العلاقة بينهما يقول الشيخ محمد الغزالي: «والتزكية أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس، وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى؛ كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسفّ به وتعوجّ»[٣].

٢ الرعاية:

الرّعاية لغةً:

الحفظ؛ يقال: رعاه يرعاه رعيًا ورعاية: حفظه. وكلّ من ولي أمر قوم فهو راعيهم وهم رعيّته. وقد استرعاه إياهم: استحفظه، واسترعيته الشيء فرعاه: حفظه. وفي المثل: من استرعى الذئب ظلم؛ لأنّ من ائتمن خائنًا فقد وضع الأمانة في غير موضعها[٤].

الرعاية اصطلاحًا:

من معاني الرعاية في مجال التربية والتعليم -كما ذكر أحد الباحثين- المسؤولية والإشراف والحرص والمساعدة والإرشاد والتوجيه ومراقبة الطفل والسهر عليه[٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ١٨، مختار الصحاح، الرازي ١/ ١٣٦، لسان العرب، ابن منظور ١٤/ ٣٥٨.

(٢) مفهوم التزكية، نايف الشريف ص ٢١٩.

(٣) نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، ص١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٣/ ١٦٢ - ١٦٤، لسان العرب، ابن منظور ٤/ ١٨١ - ١٨٣.

(٥) انظر: مدخل إلى التربية الإسلامية،الغامدي، ص ٦.

الصلة بين الرعاية والتربية:

المربي يشرف على التربية ويرشد ويرعى مراحل التربية.

٣ التأديب:

التأديب لغة:

أصل مادة الكلمة (الهمزة والدال والباء) تدل على (الجمع والدعاء)، يقال: أدبهم على الأمر، أي: جمعهم عليه، ومنه سمي حسن الخلق أدبًا؛ لأنه أمرٌ قد أجمع عليه وعلى استحسانه[١].

التأديب اصطلاحًا:

هو التعليم والمعاقبة على الإساءة بقصد الإصلاح، يقال: أدّبه، أي: علّمه الأدب، وعاقبه على إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب، و(التأديب) لفظ يدل على المبالغة والتكثير[٢].

الصلة بين التأديب والتربية:

وظيفة المؤدب والمربي واحدة.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٧٤، أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٣.
(٢) انظر: المصباح المنير، الفيومي ١/ ٩، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص٧٥.

الله تعالى المربي لعباده

أضاف الله سبحانه لنفسه كلمة العالمين بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يقول الطبري: «والعالمون جمع عالم، والعالم: جمعٌ لا واحد له من لفظه، كالأنام والرهط والجيش، ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه. والعالم اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالمٌ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان. فالإنس عالم، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان. والجنّ عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق، كلّ جنس منها عالم زمانه. ولذلك جمع فقيل: عالمون، وواحده جمعٌ»[1].

والله سبحانه هو المربي للخلق، كما يدل عليه كلمة (الرب). يقول ابن الجوزي: «فأما الرب فقيل: هو مأخوذ من التربية، يقال: رب فلان صنيعتها يربها ربًّا: إذا أتمها وأصلحها»[2].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «وقيل: إن ربوبية الله تظهر بتربيته إياهم، وهي تربية خلقية بما يكون به نموهم وكمال أبدانهم وقواهم النفسية والعقلية، وتربية شرعية تعليمية للمحافظة على فطرتهم»[3].

ويذكر الرازي في تفسيره أهم الفروق بين تربية الله تعالى وتربية الخلق بعضهم لبعض،منها:

١. أنه تعالى يربي عبيده لا لغرض نفسه، بل لغرضهم، وغيره يربون لغرض أنفسهم لا لغرض غيرهم.
٢. أن غيره إذا ربى فبقدر تلك التربية يظهر النقصان في خزائنه وفي ماله، وهو تعالى متعال عن النقصان والضرر.
٣. أن غيره من المحسنين إذا ألح الفقير عليه أبغضه وحرمه ومنعه، والحق تعالى بخلاف ذلك.
٤. أن غيره من المحسنين ما لم يطلب منه الإحسان لم يعط، أما الحق تعالى فأنه يعطي قبل السؤال.
٥. أن غيره من المحسنين ينقطع إحسانه إما بسبب الفقر أو الغيبة أو الموت، والحق تعالى لا ينقطع إحسانه البتة.
٦. أن غيره من المحسنين يختص إحسانه بقوم دون قوم ولا يمكنه التعميم، أما الحق تعالى فقد وصل تربيته وإحسانه إلى الكل[4].

وقد قسم العلماء والمربون هذه التربية إلى قسمين: تربية عامة وتربية خاصة، فإن أطلقت فالمراد بها المعنى الأول، مثل قوله

(١) جامع البيان، ١/ ١٤٣.
(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ١٨.
(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١/ ٥١.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ١/ ١٩٩.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ونحو ذلك.

وحيث قيدت بما يحبه ويرضاه، أو وقع السؤال بها من الأنبياء وأتباعهم. فإن المراد بها النوع الثاني. وهو متضمن للمعنى الأول وزيادة؛ لهذا تجد أدعية الأنبياء وأتباعهم في القرآن باسم الرب غالبًا، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

أولًا: تربية عامة.

يقول العلامة السعدي رحمه الله حول تربية لله سبحانه العامة لعباده: «وهي خلقه تعالى للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا»(١).

فالتربية العامة تشمل نقاطًا ثلاثة:

١. خلق الله تعالى المخلوقات: يقول العلامة العثيمين: «الرب هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق والملك والتدبير، فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور»(٢).

٢. رزقهم، بعد أن يذكر الرازي كيفية تكوين الشجرة من الغصن والساق والعروق والثمار، يبين لنا هذا الجانب من تربية الله سبحانه، وهي رزقهم فيقول: «والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد إليه من الغذاء والأدام والفواكه والأشربة والأدوية، كما قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٥-٢٦]»(٣).

٣. هدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا، يقول الراغب الأصفهاني: «رب العالمين هو المتكفل بمصلحتهم»(٤).

ويذكر الرازي رحمه الله في تفسيره وجوهًا كثيرة لتربية الله سبحانه للعبد، منها خلقه للإنسان من نطفة فعلقة فمضغة فعظام، ثم خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والأرض والجبال والمعادن، والنبات والحيوان، ثم يعلق على كل ذلك بقوله رحمه الله: «واعلم أنك إذا تأملت في عجائب أحوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن في خلق الإنسان قضى صريح عقلك بأن أسباب تربية الله كثيرة، ودلائل رحمته لائحة ظاهرة»(٥).

فالتربية العامة تكون بالنعم التي أنعمها الله على عباده من رزق وإرسال الرسل، فيهدي بهدايته العامة من ينيب إليه، بعد أن عرف النعمة وأحس بجميع الدلائل الكونية والشرعية على أن الله تعالى هو رب البرية،

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤١٤.
(٢) تفسير القرآن الكريم، سورتي الفاتحة والبقرة، ١/ ١٠.
(٣) مفاتيح الغيب، ١/ ٢٠٠.
(٤) تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ٥٤.
(٥) مفاتيح الغيب، ١/ ٢٠٠.

فأناب إليه، ثم هداه تعالى ووفقه [١].

ثانيًا: تربية خاصة.

يقول الشيخ السعدي مبينًا التربية الخاصة: «وهي تربية لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم به ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى:١٣].

والمعنى: الله يجتبي إليه من يشاء أي: يختار من خلقه من يعلم أنه يصلح للإجتباء برسالته وولايته، ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وآخرها» [٢].

ويقول البيضاوي مفسرًا آية ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: «ثم سمى به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه» [٣].

فالله سبحانه هو الحافظ للخلق لأنه مربيهم وخالقهم.

وقيل في قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي﴾ [غافر:٦٦].

أي: المربي لي تربية خاصة، هي أعلى من كل مخلوق سواي، فأنا أعبده عبادة تفوق عبادة كل عابد [٤].

فالتربية الخاصة لله سبحانه، تكون لأنبيائه والصالحين. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه:١٢]: «أي: ربك أنت بالذات، لا الرب المطلق، لأن الرسل مختلفون عن الخلق جميعا، فلهم تربية مخصوصة، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:٣٩]. وقال سبحانه: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١]. فالحق تبارك وتعالى يربي الرسل تربية تناسب المهمة التي سيقومون بها» [٥].

ويعرف صاحب تفسير التحرير والتنوير كلمة الاصطناع في الآية بأنها: «صنع الشيء باعتناء، واللام للأجل، أي: لأجل نفسي، والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئًا لفائدة نفسه، فيصرف فيه غاية إتقان صنعه» [٦].

فالنبي صلى الله عليه وسلم اصطفاه ربه وتولى أمر تربيته حيث صانه عن أفعال الجاهلية المنكرة، فلم يعبد الأصنام، ولم يلهو كأقرانه ولم يسمع لهوًا قط. فهذه تربية ورعاية ربانية خاصة [٧].

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي، ص ٢١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ٤/ ٤١٤.
(٣) أنوار التنزيل، ١/ ٢٨.
(٤) انظر: السراج المنير، الشربيني، ٣/ ٤٩٥.
(٥) تفسير الشعراوي، ١٥/ ٩٢٣١.
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦/ ٢٢٣.
(٧) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله أحمد، ص ١٢٥-١٢٦.

مما سبق عرفنا أن الله سبحانه يربي أوليائه وأصفيائه تربية خاصة، وهذه التربية تكون بتوفيقهم للإيمان والهداية ودفع الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

الأنبياء عليهم السلام والتربية

الأنبياء عليهم السلام صفوة الخلق اختارهم الله تعالى لأداء الأمانة وتبليغ الرسالة وتربية الناس. فهم عليهم السلام أكثر الناس حاجة للتربية نظرًا للمسؤلية الثقيلة عليهم. فالله سبحانه رباهم تربية خاصة ليكونوا أهلًا للحمل الثقيل. وهم بدورهم حملوا أمانة تربية الناس وإصلاحهم. ومن هنا قسمنا هذا المبحث إلى:

أولا: تربية الله سبحانه للأنبياء.

قال تعالى لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:١٢].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه:٤١].

يقول شيخ المفسرين الإمام الطبري في معنى هذه الآية: «أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك واختيارًا لرسالتي والبلاغ عني والقيام بأمري ونهيي»[(١)].

ثانيا: تربية الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم.

يقول الدكتور أحمد أبو زيد حول مهمة الأنبياء عليهم السلام في الحياة وكيفية تربيتهم لأقوامهم: «قامت دعوات الأنبياء عليهم السلام على تكوين الإنسان الذي يوحد الله تعالى ويراقبه في سره وعلانيته،

(١) جامع البيان، ١٦/ ٧٢.

ويسارع في الخيرات، لذلك تبدأ بغرس كلمة الإيمان في النفس وتعمل بوسائل شتى على ترسيخها وتثبيت جذورها في القلب، لأن الإيمان إذا تغلغل في القلب كان قوة ذاتية تدفع الإنسان إلى السلوك القويم والتحلي بالأخلاق الحميدة والاستقامة على طريق الصلاح»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ومهمة تكوين الإنسان الموحد لله تعالى المسارع إلى الخيرات، ليست مهمة سهلة.

إن تربية الأنبياء ودعوتهم -كما ذكرها الشيخ التويجري في مختصر الفقه الإسلامي- اشتملت على أربعة أمور: تحصيل الإيمان، وحفظ الإيمان، والاستفادة من الإيمان، ونشر الإيمان.

فالاجتهاد لتحصيل الإيمان بالنظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، والعبادة والتزكية وكثرة ذكر الله. واجتهادهم لحفظ الإيمان، بلزوم الإيمان والبيئات الصالحة والعمل الصالح، والإكثار من ذكر الله، ومواصلة الدعوة إلى الله وبذل كل جهد في سبيل إعلاء كلمة الله.

ثم اجتهدوا لقضاء حاجاتهم وحاجات الدين بالاستفادة من الإيمان، فيرون أن الله معهم حيثما كانوا، ويطلبون منه وحده كل شيء... وهكذا استفادوا من قدرة الله وخزائنه. ثم اجتهدوا على نشر هذا الإيمان وهذا اليقين بين أقوامهم، ومن أرسلوا إليه، ليعبدوا الله وحده لا شريك له[2].

والدارس لقصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد نماذج عديدة لتربية الأنبياء لغيرهم وتعليمهم بشتى الوسائل. وما عانوه في سبيل أداء مهمتهم على أكمل وجه.

(١) الأبعاد التربوية للعبادة في الإسلام، أحمد أبو زيد، ص٧٧.

(٢) نقل بتصرف من: مختصرالفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة،محمد بن إبراهيم التويجري، ١/ ٧٩-٨٠.

مجالات التربية

أولًا: التربية الإيمانية:

يقصد بالتربية الإيمانية: «ربط المسلم منذ نعومة أظفاره بأصول الايمان وأركانه وترسيخها في خوالج نفسه ابتداءً بوجود الله تعالى وصفاته، مرورًا بعظمة كلام الله تعالى وإعجازه وبيانه بالسنة المشرفة، وإنتهاءًا بالاعتياد على تطبيق أركان الإسلام، وتمثل مباديء الشريعة الغراء حتى تتسامى روحه إلى الأفق الأعلى بإيمان صادق ويقين ليس بعده كفر. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠]»[(١)].

ويراد بأصول الإيمان: الحقائق الإيمانية والأمور الغيبية الثابتة عن طريق الخبر الصادق: كالإيمان بالله سبحانه، والإيمان بملائكته، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالرسل، والبعث والحساب والجنة والنار وسائر المغيبات. وأركان الإسلام هي: كل العبادات البدنية والمالية، وهي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج من استطاع إليه سبيلا. ونعني بمباديء الشريعة: كل ما يتصل بالمنهج الرباني من عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع وأنظمة[(٢)].

فالتربية الإيمانية عملية متدرجة ومقصودة، لتوجيه الإنسان نحو خالقه من خلال مجموعة من المباديء، والقيم المستمدة من الكتاب، والسنة، والتي تعمل على النمو السليم المتوازن بالروح، والعقل، والنفس، والجسم، وتحدث التكيف الاجتماعي[(٣)].

والناظر للآيات القرآنية التي تبحث في قضية الإيمان يجد أن هذه الآيات تعمل بشتى الوسائل والأساليب بغرس الإيمان في النفس وترسيخها وتثبيت جذورها في قلب الإنسان، والإيمان يدفع الإنسان إلى التحلي بالأخلاق والاستقامة على الطريق الصحيح.

وقد استخدم القرآن الكريم أساليب عدة لغرس هذا الإيمان في النفس، منها:

١. الأساليب البنائية.

فقد ذكر القرآن الكريم أساليب لتقوية الإيمان وتنميته وغرسه في النفوس، منها:

١. النظر في الآفاق والأنفس، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ

(١) التربية وأساليبها في التشريع الاسلامي، سناء هدلة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، عدد ٢٥٨، سنة ٢٠١١، ص ٢٠٣١.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/ ١٤٤.

(٣) انظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم، زينب بشارة يوسف، ص ٢٤.

﴿يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

٢. تلاوة آيات القرآن الكريم وتدبر معانيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. وعن جندب بن عبد الله، قال: **كنّا مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ونحن فتيانٌ حزاورةٌ، فتعلّمنا الإيمان قبل أن نتعلّم القرآن، ثمّ تعلّمنا القرآن فازددنا به إيمانًا**)[1].

٣. معرفة أسماء الله وصفاته، لاشك أن النظر في الأسماء والصفات بتدبر معانيها ودلالاتها في المخلوقات مما يزيد الإيمان ويقويه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٤. العبادة المتمثلة في اتباع الأوامر واجتناب النواهي. قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

٥. التفكر في الموت، فالموت هو الطريق الذي يعبر من خلاله الإنسان، عند انتقاله من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

٢. الأساليب الوقائية.

فالتربية القرآنية لا تقف عند تنمية الإيمان وتقويته، بل تستمر في المحافظة عليه بأساليب أخرى، منها:

١. التمسك بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢. التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

٣. التحلي بالصبر، وللصبر أثر كبير في المداومة على العبادات، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

٣. الأساليب العلاجية.

بعد الأساليب البنائية والأساليب الوقائية، يعالج القرآن الكريم ضعف الإيمان حين يقع المؤمن في الأخطاء بأساليب،

(١) أخرجه في سننه، باب في الإيمان، ١/ ٣٧-٣٨.

منها:

١. التوبة، فقد ذكر القرآن الكريم في كثير من الآيات هذا الأسلوب منبهًا لهم أنه لا فلاح ولا نجاة لكل مؤمن إلا بالتوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

٢. الاستغفار، من صفات المتقين إذا وقعوا في ذنب المسارعة إلى الاستغفار؛ لإيمانهم بأن الله غفور رحيم. قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥][(١)].

فالقرآن الكريم -كما رأينا- يولي أهمية خاصة للتربية الإيمانية، مستخدمًا شتى الوسائل والأساليب والطرق. وهذا التنويع في الوسائل كفيل بتحقيق الغاية المنشودة، وهي غرس الإيمان في النفس.

ثانيًا: التربية الأخلاقية:

التربية الأخلاقية هي: «تنشئة الفرد على المباديء الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي توجه الفرد من وقت تمييزه، حتى يعتاد الصلاح وترسخ في نفسه القيم، فتكون دافعًا له إلى كل فضيلة وعونًا له على كمال دينه ومروءته وشخصيته، ومنها بر الوالدين واحترامهم والتزام الأدب في التعامل مع الغير ابتداءًا بالأسرة، وانتهاءًا بمختلف المؤسسات الاجتماعية»[(٢)].

والمتأمل للقرآن الكريم يرى بوضوح مدى الاهتمام بالتربية الخلقية للإنسان وتوجيهه نحو الخير، وما فيها من توجيهات خير شاهد على ما نقول.

فمن هذه الآيات التي توجه السلوك وترسم خط الاستقامة: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:١-٧].

وفي التربية على القول الحسن يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وفي الصدق يقول عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

(١) انظر: الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، سعيد القرني، ص ١٨٣-٢٢٤.

(٢) التربية وأساليبها في التشريع الاسلامي، سناء هدلة، ص ٢٠٣١-٢٠٣٢.

الصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة: ١١٩].

وحينما يأمرنا بالتواضع يقول: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٨ – ١٩].

ويأمرنا بالعفة والاحتشام بقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠][1].

ويأمرنا سبحانه بالابتعاد عن سوء الظن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)**[2].

فالتربية الأخلاقية أخذت حيزًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم.

ثالثًا: التربية العقلية:

العقل هي الأداة التي عن طريقها يسلك الفرد طريق النجاة في الدارين، وعقول الناس تتفاوت في سلوك هذا الطريق. وهذا ما لا خلاف فيه. ولكن العقول قابلة للنماء والتطور والارتقاء حسب استخدامها في مجالها المقدر لها. والارتقاء بها تكون «بتدريبها على ممارسة العمليات العقلية من تفكر وتدبر وتأمل؛ لذلك نجد أن الكثير من الآيات القرآنية تختم بقوله تعالى: ﴿يَعْقِلُونَ﴾، ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾. وعقول الأفراد مجتمعة تكون عقل المجتمع أو الأمة؛ لذلك كان الاهتمام بالقدرات العقلية ومحاولة تطويرها على النطاق الفردي أو الجماعي عمل في غاية الأهمية»[3].

ويدل على أهمية العقل في القران الكريم أنه حث على التعقل والتفكير في مخلوقات الله تعالى، وأن الانحراف والضلال نتيجة لعدم التعقل والنظر بالحكمة في الأمور. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

لذلك نرى الله سبحانه يشبه الذين لا

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، رقم ٦٠٦٦.

(٣) من أساليب التربية في القرآن الكريم، زينب بشارة يوسف، ص ١٨.

يستخدمون عقولهم بالدواب.

يقول الرازي: «شبههم بالدواب لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بما يقولون، ويقال لهم؛ ولذلك وصفهم بالصم والبكم وبأنهم لا يعقلون. وقيل: بل هم من الدواب؛ لأنه اسم لما دب على الأرض، ولم يذكره في معرض التشبيه، بل وصفهم بصفة تليق بهم على طريقة الذم، كما يقال لمن لا يفهم الكلام: هو شبح وجسد وطلل، على جهة الذم»[1].

وفي عملية تربية العقل اتبع القرآن الكريم أساليب تربوية عدة، منها:

١. تربية العقل بالعلم والمعرفة.
٢. تربية العمليات العقلية.
٣. تربية العقل وتزكيته بالقيم والمباديء الاسلامية.
٤. تربية العقل من خلال علاقة الانسان بالله عزوجل والكون والحياة[2].

وقد حرر القرآن الكريم عقل الإنسان من عوائق عدة تعيقه عن مهامه الموكلة له:

فقد حرره من الخرافة والمعتقدات الباطلة التي تتنافى وتكريم الله له «وقدم الإجابات الواضحة للإنسان عن الكون ومفرداته وفلسفته، وحقيقة خلقه، وكيف تتم إدارته وحركة القوة فيه»[3]. وحرره من التبعية والعبودية لغيرالله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

يقول الرازي في تفسير هذه الآية: «إن الله تعالى أمرهم بأن يتبعوا ما أنزل الله من الدلائل الباهرة، فهم قالوا: لا نتبع ذلك، وإنما نتبع آباءنا وأسلافنا، فكأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد، وأجاب الله تعالى عنهم بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾»[4].

لقد حرر القرآن العقل من إتباع الهوى والشهوات بالعلم والمعرفة ودعا إلى التحرر من عبادة غير الله تعالى فكل الخلق في ميزان العبودية سواء، «فإذا تمكنت عبوديته لله من قلبه، وتحرر من عبودية غير الله، كان أهلًا لأن يأمنه الناس على كل شيء؛ لأنه لا يستجيب لرغبة، ولا يخضع لرهبة، ولا يقوده إغراء ولا شهوة، ولا يتبع هوى، وإنما يستجيب لأمر الله، وأمر الله لا يوجد فيه إلا عمل الخير الذي فيه غاية الأمن لكل البشر»[5].

(١) مفاتيح الغيب، ١٥/ ٤٦٩.
(٢) انظر: منهاج التربية الاسلامية في بناء الشخصية، أحمد الغامدي، ص٤٢.
(٣) أثر التربية القرآنية في آمن المجتمع، عبد الله قادري الأهدل، ص٨٥.
(٤) مفاتيح الغيب، ٥/ ١٨٨.
(٥) أثر التربية القرآنية في آمن المجتمع، عبد الله

والقرآن الكريم دعا من خلال تشريعاته إلى المحافظة على العقل من التلف. «وقد بنى القرآن الكريم تربية العقل على ضرورة ترك كل ما يمكن أن يتلفه أو يضره، فحرم الخمر وجميع المذهبات للعقل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[المائدة:٩٠]»[(١)].

والقرآن الكريم يدعو إلى الحوار والإقناع ويبتعد عن الإكراه. قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال الزمخشري: «أي: لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر ولكن على التمكين والإختيار»[(٢)].

ومن أجل احترام العقل وتربيته جعل الإيمان على الإقتناع لا الإجبار، «فإذا كان الدين لا إكراه فيه، فلا إكراه فيما سواه وهي دعوة صريحة في غالب آيات القرآن الكريم تدعوا إلى التفكر والتأمل في كل ما يعرض، وعدم الاغترار بالظواهر، فالحقيقة أهم من المظهر، وعليها المعول والحساب»[(٣)].

مما سبق عرفنا أهم ملامح التربية القرآنية للعقل، وهي: حثه على التفكر في مخلوقات الله، وتحريره العقل البشري من الخرافات والتبعية والجمود واتباع الهوى.

رابعًا: التربية البدنية:

عنى القرآن الكريم عناية بالغة بجسم الإنسان ووضع له منهاجًا للتربية السليمة، تتجلى مفردات هذا المنهج في التشريعات والتوجيهات المذكورة في القرآن الكريم.

والمقصود بالتربية الجسمية: «أنها التربية التي تهتم ببناء وتنمية الجانب الجسمي وكيفية تفاعله الإيجابي مع غيره من الجوانب الأخرى للشخصية الإنسانية، لأداء وظائفه في الحياة، وتحقيق التكيف اللازم مع ما يحيط بها من كائنات ومكونات أخرى وفق منهج الله سبحانه»[(٤)].

والله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصوره في أحسن صورة، وخلقه فسواه فعدله، وجعل له السمع والبصر والفؤاد. كل ذلك ليدلنا على أهمية البدن والجسم للإنسان. يقول العلامة السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ

قادري الأهدل، ص٨٥.

(١) من أساليب التربية في القرآن الكريم، زينب بشارة يوسف، ص ٢١.

(٢) الكشاف، ١/ ٣٣١.

(٣) من أساليب التربية في القرآن الكريم، زينب بشارة يوسف، ص ٢١.

(٤) مقومات التربية الجسمية في الإسلام، صالح بن علي أبو عراد الشهري، ص ٥٠.

﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤].

أي: «تام الخلق، مستقيمًا، معتدل القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا وباطنًا شيء»[(١)]. والقرآن كلام الله سبحانه جاء لتربية الإنسان، عقله وقلبه وروحه وبدنه.

ومن خلال تتبعنا للآيات القرآنية التي تهتم بجسم الإنسان وجدنا ملامح أساسية للتربية البدنية أو الجسمية في القرآن. ومن أبرز تلك الملامح:

من حق الطفل أن يرضع رضاعة طبيعية مدة عامين كاملين، حتى ينشأ نشأة سليمة، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البقرة:٢٣٣].

تناول الحلال من الأطعمة الطيبة لإشباع حاجات الجسم، والبعد عن الحرام.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[المائدة:٨٨].

يقول السعدي: «كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالًا لا سرقةً ولا غصبًا ولا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق، وكان أيضًا طيبًا، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث»[(٢)].

وحفاظًا على سلامة الجسم، يجب الابتعاد عن أكل الميتة ولحم الخنزير وكل ما يضر الجسم أكله، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ﴾[المائدة:٣].

قال سيد قطب: «وسواء وصل العلم البشري إلى حكمة هذا التحريم أم لم يصل، فقد قرر العلم الإلهي أن هذه المطاعم ليست طيبة وهذا وحده يكفي. فالله لا يحرم إلا الخبائث. وإلا ما يؤذي الحياة البشرية في جانب من جوانبها. سواء علم الناس بهذا الأذى أو جهلوه»[(٣)].

وإشباع الحاجة الجنسية بالطريقة الشرعية كما أمر الله تعالى والبعد عن اللذة المحرمة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾[الروم:٢١].

الاهتمام بممارسة التدريبات الرياضية التي تقوي الجسم، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠].

الاهتمام بالرعاية الصحية والنظافة في المأكل والمشرب والملبس، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٢٩.
(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢.
(٣) في ظلال القرآن، ٢/ ٨٤٠.

خصائص التربية في القرآن

أولًا: الربانية:

من أهم خصائص التربية في القرآن الكريم: الربانية. فالإنسان من خلق الله سبحانه، وليس هناك أعلم من الله عزوجل به.

قيل في نسبتها أقوال كثيرة ذكرها الراغب الأصفهاني،منها: «إنه منسوب إلى الربان، وقيل: منسوب إلى الرب الذي هو المصدر، وهو الذي يرب العلم كالحكيم، وقيل: منسوب إلى الرب أي: الله سبحانه وتعالى»(١). والمعنى المراد هنا: الإنتساب إلى الرب، أي: الله سبحانه، ويطلق على الإنسان أنه رباني إذا كان وثيق الصلة بالله عالمًا بدينه وكتابه، معلمًا له. وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «ولكن يقول الرسول للناس: كونوا ربانيين. قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد، أي: حكماء علماء حلماء. وقال الحسن وغير واحد: فقهاء، وكذا روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، وعطية العوفي، والربيع بن أنس. وعن الحسن أيضًا: يعني: أهل عبادة وأهل تقوى»(٢).

معنى الربانية في التربية:

يراد بالربانية أمران:

❁ **ربانية الغاية والوجهة.**

فالتربية القرآنية «ربانية في غايتها تهدف إلى تربية الإنسان المسلم الذي يحسن صلته بربه، فيعيش في سعادة ورضا تام، يبعده عن الصراعات النفسية والفكرية، فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا»(٣).

❁ **ربانية المصدر والمنهج.**

فالقرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للتربية القرآنية، تستمد منها أصولها وتوجيهاتها.

«وأساس التربية الربانية أنها تنزيل من الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩].

فهي تقوم على أسس ربانية، فتأتي مبرأة من كل عيب وقصور»(٤).

ومن معاني الربانية في التربية: تربية الإنسان على التحرر من الأهواء والأشخاص وعدم الخضوع والإنقياد

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٦٦.

(٣) فصول في تدريس التربية الإسلامية، حسن جعفر الخليفة وكمال الدين محمد، ص ٦.

(٤) المصدر السابق.

إلا لله وحده، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢].

يقول السعدي: «من أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله. وقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾أي: ما آتيه في حياتي، وما يجريه الله علي، وما يقدر علي في مماتي، الجميع ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير، وليس هذا الإخلاص لله ابتداعًا مني، وبدعًا أتيته من تلقاء نفسي، بل ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أمرًا حتمًا، لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة»[(١)].

ثانيًا: التدرج:

التدرج سنة كونية ابتداءً في إنشاء هذا الكون؛ فالله سبحانه لم ينشأ الكون دفعة واحدة مع القدرة عليه، بل خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

ويعرف المختصون التدرج في التربية بأنه: «الارتقاء التصاعدي في إكساب الفرد معالي الأمور»[(٢)]. أو «البدء بالسهل ثم الصعب والانتقال في التعلم من البسيط إلى المعقد مراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين، وللقدرة العقلية على الفهم والاستيعاب، حيث إن فروقًا كثيرة بين الناس في استعداداتهم وقدراتهم النفسية العقلية»[(٣)].

والتدرج في التربية أسلوب يدلّ على حكمة صاحبه، وقدرته على التلطف في مخاطبة العقول والأفهام، فينتقل من فكرة إلى فكرة، معتمدًا على المحاكمة العقلية، والحجة المقنعة، والبرهان الواضح.

التدرج في التربية في القرآن الكريم:

نزل القران الكريم منجمًا رحمة للمؤمنين حتى يمكنهم من حفظه وتلاوته وفهمه وإدراك الأمور ويكون ذلك عونًا على ثباته في أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢].

يقول السعدي حول التدرج المشار إليه في الآية الكريمة: «كلما نزل عليه شيء من القرآن إزداد طمأنينة وثباتًا وخصوصًا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلًا قبل ذلك، ثم تذكره عند حلول سببه»[(٤)].

والتدرج مظهر من مظاهر التبشير

(١) تيسير الكريم الرحمن، ١/ ٢٨٢.
(٢) أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي، ص ٢٧٣.
(٣) منهاج التربية الاسلامية في بناء الشخصية، أحمد الغامدي، ص٤٢٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ١/ ٥٨٢.

والتيسير المذكور في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

ونزول القرآن الكريم منجمًا حوى عدة حكم تربوية، ذكرها الله سبحانه في الآية الكريمة. ومن هذه الحكم:

الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

قال القاسمي: «أي: نقوّيه به على القيام بأعباء الرسالة، والنهوض لنشر الحق بين قادة الجهالة. فإن ما يتواتر إنزاله لذلك، أبعث للهمة وأثبت للعزيمة وأنهض للدعوة، من نزوله مرة واحدة»(١).

الحكمة الثانية: التدرج في تربية هذه الأمة، وتستمد هذه الحكمة من قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾حيث فسر ذلك سيد قطب بقوله: «الترتيل هنا هو: التتابع والتوالي، وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب وإستعدادها للتلقي»(٢).

فلو جاءتهم جملة واحدة لثقلت عليهم؛ لأنه من العسير أن يتحول أمة بين ليلة وضحاها إلى حياة أخرى مختلفة تمامًا عن التي إعتادوها.

الحكمة الثالثة: مراعاة مناسبات الأحداث؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

والمتأمل للقرآن الكريم يجد جوانب من التدرج، نذكر منها:

أولًا: التدرج في الحفظ والفهم.

كما قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

ثانيًا: التدرج في انتزاع الفاسد وتثبيت الصحيح من العقائد والعبادات.

ومن العادات التي علاجها بالقطع الحاسم ما يلي:

- الشرك بكل عاداته وتصوراته من عبادة للاوثان واجتماع حولها وأداء لمراسم معينة من أجلها.
- عادة وأد البنات، لم يكن يمكن مهادنتها وهي تقوم على أساس غير إيماني ولا إنساني.
- العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر وعنجهية..إلخ، كان لابد من مواجهتها مواجهة حاسمة(٣).

ثالثا: التدرج في انتزاع المنكر من العادات والأخلاق وتثبيت المعروف.

(١) محاسن التأويل، ٧/ ٤٢٧.
(٢) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٥٦٣.
(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ١/ ٢٠١.

يقول الدكتور محمد قطب في كتابه القيم (منهج التربية الاسلامية):

«وقد بدأ الاسلام -وهو ينشأ في الجاهلية- بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين: إما القطع الحاسم، وإما التدرج البطيء، حسب نوع العادة التي يعالجها، وطريقة تمكنها في النفس»[1].

والقرآن الكريم زاخر بالأمثلة على الأخذ بمبدأ التدرج، منها:

التدرج في تحريم الخمر، والتدرج في تحريم الربا، والتدرج في تعليم الولد الآداب الإجتماعية.

ثالثًا: الشمول والتكامل:

الشمول مصدر شمل، ومعناه العموم، قال ابن فارس: «شمل: شملهم الأمر يشملهم، إذا عمهم»[2].

والعموم والإتمام وعدم الاحتياج إلى غيره، من أهم خصائص التربية في القرآن الكريم.

فالشمول في التربية القرآنية تعني: أنها تتناول كل جوانب الحياة، وتهتم بالإنسان ككل، روحه وجسمه وعقله ونفسه. وأنها تشمل كل الأزمنة والأمكنة. فالشمول في التربية تعني:

١. أنها تربية شاملة لجميع جوانب الشخصية الإنسانية للمسلم (الجسم، العقل، الروح).

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام:٣٨].

يقول الرازي: «قوله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ يجب أن يكون مخصوصًا ببيان الأشياء التي يجب معرفتها»[3]. فالقرآن الكريم عالج كل جوانب الشخصية الإنسانية فاهتم بالجسم ومتطلباته وبالروح وبالعقل. وفي مبحث (مجالات التربية) فصلنا القول في ذلك.

٢. إنها شاملة لجميع فئات المجتمع.

فلا تقتصر على فئة دون أخرى. فالقرآن الكريم اهتم بالطفل كاهتمامه بالشاب، واهتم كذلك بالشيوخ والعجائز. تربيته شملت المرأة كالرجل. فحفاظًا على سلامة الأم أثناء الحمل، دعا لتحقيق حاجاتها ومعاملتها بأحسن ما يمكن.

قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾ [الطلاق:٦].

٣. إنها تربية شاملة لكل الأزمنة والأمكنة.

فالقرآن الكريم ربى بتوجيهاته الجيل الذي عاش في زمن النبوة وما بعدها،

(١) المصدر السابق.
(٢) مجمل اللغة، ١/ ٥١٢.
(٣) مفاتيح الغيب، ١٢/ ٥٢٦.

ويربي كذلك الإنسان في عصرنا الحاضر والمستقبل. وتنبع شمولية التربية القرآنية من قدرة الواضع لها على إدراك ومعرفة صغائر الأمور وكبائرها، فلم تتخلف قابلية المنهج في التطبيق على زمان دون آخر.

والتربية القرآنية إلى جانب شمولها، متكاملة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «فليست التربية مقصورة الغاية على جانب واحد من جوانب الإنسان، التي يهتم بكل واحدة منها أهلها والمختصون بها. إنها لا تضع كل إهتماماتها في الناحية الروحية أو الخلقية التي يهتم بها الفلاسفة والعقليون. ولا تجعل أكبر همها في التدريب والجندية التي يحرص عليها العسكريون. ولا تحصر نشاطها في التربية الإجتماعية كما يصنع المصلحون الإجتماعيون. إنها في الواقع تهتم بكل هذه الجوانب وتحرص على كل هذه الألوان من التربية»[1].

والقرآن الكريم يؤكد على هذا التكامل من خلال استنكاره على المنكرين له عدم تدبر تشريعاته وأحكامه وأوامره. ولو تدبروه لوجدوه متكاملًا يكمل بعضه بعضًا.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

(١) التربية الإسلامية، ص ٣٢.

يقول سيد قطب: «والتناسق المطلق الشامل الكامل هو الظاهرة التي لا يخطئها من يتدبر هذا القرآن أبدًا.. ومستوياتها ومجالاتها، مما تختلف العقول والأجيال في إدراك مداها. ولكن كل عقل وكل جيل يجد منها -بحسب قدرته وثقافته وتجربته وتقواه- ما يملك إدراكه، في محيط يتكيف بمدى القدرة والثقافة والتجربة والتقوى. ومن ثم فإن كل أحد، وكل جيل، مخاطب بهذه الآية. ومستطيع -عند التدبر وفق منهج مستقيم- أن يدرك من هذه الظاهرة -ظاهرة عدم الاختلاف، أو ظاهرة التناسق- ما تهيئه له قدرته وثقافته وتجربته وتقواه. وتلك الطائفة في ذلك الجيل كانت تخاطب بشيء تدركه، وتملك التحقق منه بإدراكها في حدودها الخاصة»[2].

رابعًا: الواقعية:

الواقعية تعني: «مراعاة الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس والإعتراف بالضعف البشري، وبالدوافع البشرية، وبالحاجات الإنسانية؛ نفسية أو مادية»[3].

والمتأمل للتوجيهات التربوية للقرآن يجد أنها توافق الفطرة وتنسجم مع الواقع؛ لأن الله تعالى هو صاحب القرآن وهو

(٢) في ظلال القرآن، ٢/ ٧٢١.

(٣) الوسطية في القرآن الكريم، علي الصلابي، ٣/ ٨٥.

خالق الإنسان وهو أعلم بمطالبه وحاجاته وطاقاته. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤].

قال الطبري: «﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الرب جل ثناؤه ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ من خلقه؟ يقول: كيف يخفي عليه خلقه الذي خلق ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بعباده ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم وبأعمالهم»[(١)].

وطاقة الإنسان محدودة، فلم يكلفه الله سبحانه إلا في حدود طاقته. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦].

والمتأمل في أوامر ونواهي وتوجيهات القرآن الكريم يرى بوضوح هذه الخاصية.

والإنسان ضعيف بطبعه،والله عزوجل يعرف ضعفه إزاء المغريات.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[آل عمران:١٤].

وللتغلب على هذا الضعف جعل محفزات ومرغبات للعمل الصالح، ومرهبات ومنفرات عن العمل السيء، وهو ما يعرف بمبدأ (الثواب والعقاب).

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣].

يقول العلامة السعدي: «أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾[آل عمران:١٣٤].

أي: في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئًا ولو قل»[(٢)].

ومظاهر الواقعية في القرآن الكريم كثيرة، منها: اليسر والتيسير، ورفع الحرج، وتحريم الخبائث، وغيرها من الأمور[(٣)].

خامسًا: الوسطية:

التربية القرآنية تربية متوازنة، حيث يتميز الإسلام بالوسطية، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣].

«فالتربية الإسلامية توازن بين الأشياء، وتميل إلى أن تكون هناك نقطة توازن بين جوانب الحياة المختلفة، فهي توازن مثلًا

(١) جامع البيان، ٢٢/ ٥١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ١/ ١٤٨.

(٣) انظر: فصول في تدريس التربية الإسلامية، حسن جعفر الخليفة و كمال الدين محمد هاشم، ص ٧-٨.

بين النظرية والتطبيق في التربية، وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، كما توازن بين الحياة المادية والحياة الروحية.

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص:٧٧]»[١].

فالقرآن الكريم لا يرضى للمسلم أن يهمل الحياة الدنيا بحجة العمل للأخرى.

قال العلامة الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: «اطلب بكنوزك أسباب حصول الثواب بالإنفاق منها في سبيل الله وما أوجبه ورغب فيه من القربان ووجوه البر ولا تنس نصيبك من الدنيا»[٢].

ما أجمل قول سيد قطب حين يقول: «وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة. ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها»[٣].

مقاصد التربية في القرآن

التربية في القرآن الكريم تسعى إلى تحقيق غايات ومصالح ومقاصد شتى، نذكر فيما يلي أبرزها:

أولًا: المحافظة على الفطرة من الانحراف:

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**[٤].

وفي معنى الفطرة ذكر العلماء عدة أقوال، منها:

١. إن فطرة الله هي ما ركز في الطفل من قوة العقل.

٢. إن الفطرة هي الخلقة التي يخلق عليها المولود من المعرفة بربه. وأنكر الذين قالوا هذا القول أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان، وإنما يولد على السلامة في الأغلب خلقًا وطبعًا ومنية ليس فيها إيمان ولا كفر.

(١) فصول في تدريس التربية الإسلامية، حسن جعفر الخليفة وكمال الدين محمد هاشم، ص٧.
(٢) التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٧٨.
(٣) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧١١.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣٨٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. إن الفطرة هي الإسلام. قال ابن عبدالبر: هو المعروف عند السلف. وأجمع أهل العلم بالتأويل أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]: الإسلام. وقد أمر الله نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام.

٤. البداءة التي خلقهم عليها، أي: على ما فطر الله تعالى عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ.

٥. ما يقلب الله تعالى قلوب الخلق بما يريد ويشاء،يقول عبدالله بن المبارك: إن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة. فمن علم الله أنه يصير مسلمًا، ولد على الإسلام ومن علم الله أنه يصير كافرًا ولد على الكفر[١].

موقف التربية من الفطرة:

من معاني الفطرة الإسلام، وهو يحتاج إلى تنمية ورعاية ومعرفة بأحكام الشريعة. فوظيفة التربية تجاه الفطرة هي تنمية هذه المعارف وتبصيره بأحكام الشريعة، حتى تبقى الفطرة نقية بيضاء.

ومن معانيها السلامة من العيوب، والتربية يبقي الطفل سليمًا من الإنحراف.

(١) انظر: نظرات في التربية الإسلامية، عزالدين التميمي وبدر إسماعيل سمرين، ص٨٩.

واستخلص سيد قطب من الآية الكريمة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠].

أن القرآن يربط بين فطرة النفس البشرية وبين طبيعة الإسلام،وأن الله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل عليه هذا الدين، ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الإنحراف، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير. والفطرة ثابتة والدين ثابت ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم بردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع فطرة البشر وفطرة الوجود[٢].

ثانيًا: تربية العقل على التدبر والتفكر:

في مطلب التربية العقلية من هذا البحث ذكرنا اهتمام القرآن الكريم بالعقل وأهم الوسائل التي يتبعها للارتقاء بالعقل البشري.

فقد شرف الله تعالى العقل بأن خاطبه وجعله مناط التكليف، وحثه على البحث والنظر والتفكير والتدبر، ووجه انتباهه إلى خلق السماوات والأرض وما فيهما من نجوم وأفلاك وبحار وأنهار وما فيهما من عجائب المخلوقات، وسنن الكون وأنظمة الوجود.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٦/ ٤٥٤.

﴿وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١].

يقول أبو حيان الأندلسي في تفسيره لهذه الآية: «أمر تعالى بالفكر فيما أودعه تعالى في السموات والأرض؛ إذ السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته، ففي العالم العلوي في حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب، وما يختص بذلك من المنافع والفوائد، وفي العالم السفلي في أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان، وخصوصًا حال الإنسان. وكثيرًا ما ذكر الله تعالى في كتابه الحض على الفكر في مخلوقاته تعالى وقال: ماذا في السموات والأرض تنبيهًا على القاعدة الكلية، والعاقل يتنبه لتفاصيلها وأقسامها»[(١)].

فالعقل هو السبيل الذي يوصلنا إلى وجود الله تعالى وإلى قدرته تعالى.

وقد ذم الله تعالى الذين لا يتفكرون بقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥].

يقول أبو حيان: «إنهم لفرط كفرهم يمرون على الآيات التي تكون سببًا للإيمان ولا تؤثر فيهم، وأن تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي»[(٢)].

ويشير القرطبي إلى القراءات الواردة في الآية، «وقرأ عكرمة وعمروبن فائد (والأرض) رفعًا ابتداء، وخبره ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ وقرأ السدي (والأرض) نصبًا بإضمار فعل، والوقف على هاتين القراءتين على: السماوات وقرأ ابن مسعود: (يمشون عليها)»[(٣)].

تهدف التربية القرآنية إلى ترقية عقل الإنسان من خلال تأهيله للإيمان بالله كما تؤهله للبحث عن حقائق الأشياء ومعرفة مكانه من هذا الكون، وترتفع به لإدراك الحق.

ومن الأدلة على أن الهدف من التربية القرآنية تربية العقل:

ما ورد في القرآن الكريم من آيات تعلي من شأن العقلاء حين مدحت أولي الألباب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران:١٩١].

إن آيات القرآن تحمل بشدة على الذين لا يرتقون بعقولهم وتفكيرهم، بل يبقون في مراتب هابطة من التفكير، وقد وصفهم الله تعالى بالأنعام.

إن الإيمان بالله ينبع من احترام العقل وحب العلم وتحري الحقيقة: فالله سبحانه

(١) البحر المحيط، ٦ / ١٠٩.
(٢) المصدر السابق ٦ / ٣٩١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ٢٧٢.

أعطى الإنسان أكبر منحة وأكبر ميزة ألا وهي العقل. بالعقل يصبح الإنسان إنسانًا[1].

وقد زخرت الآيات القرآنية ببيان إعمال العقل في التفكير، لتعليمنا الدقة وكيفة الاستنتاج والاستدلال والاستنباط، وهذه العمليات العقلية معنية بتربية العقل والذهن، فالقرآن يربي الإنسان على إعمال عقله في التفكير في مخلوقات الله عزوجل، وذلك ليعلمه الدقة وكيفية الاستدلال والاستنتاج، وهذا هو المعني في تربية العقل والذهن ومطالبته بالتدبر والتفكير والاستنتاج القياسي والاستقرار.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٣].

«والقرآن يربي الفكر على عدم قبول شيء بغير حجة أو برهان أو علم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[الحج:٨-٩]»[2].

ثالثًا: إعداد الإنسان الصالح:

تهدف التربية القرآنية إلى إعداد الإنسان الصالح الفاضل ذي الخلق القويم والعزيمة القوية، القادر على التلاؤم مع حياة المجتمع الذي ينتمي إليه وممارسة دوره النافع فيه، وهو الذي يكون بحق خليفة الله في هذه الأرض؛ لذا ينبغي أن يكون هذا الإعداد شاملًا لجوانب حياته كافة الخاصة والعامة في الدنيا والاخرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص:٧٧][3].

وهذا الإنسان كرمه الله تعالى وفضله على غيره بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]

وهذا الإنسان سخر الله له جميع الكائنات.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الجاثية:١٣].

والإنسان المفضل على غيره من الكائنات، له دور مهم في الحياة، وإنه ذو

(١) انظر: نظرات في التربية الاسلامية، عزالدين التميمي وبدر اسماعيل سمرين، ص ٦٨.

(٢) التربية الإسلامية وأثرها في الفرد والمجتمع، محمد خلف عساف، ص١٩٢.

(٣) انظر: التربية وأساليبها في التشريع الإسلامي، سناء هدلة، ص ٢٠٢٦.

فطرة خيرة.

وقد دعا القرآن الكريم إلى المحافظة على هذه الفطرة وتربيتها، وذلك من خلال: تنمية جسمه وبدنه، من خلال التربية البدنية، وتثقيف عقله وتسديد أفكاره من خلال التربية العقلية، وتوجيه مستمر لأعماله في الحياة، من خلال التربية الأخلاقية.

وقد حدد الله تعالى معيار الإنسان الصالح في سورة العصر، وجمعه في نقاط أربعة:

١. الإيمان.
٢. العمل الصالح.
٣. التواصي بالحق.
٤. التواصي بالصبر.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣].

من أساليب التربية في القرآن

أولًا: القدوة الحسنة:

المراد من القدوة كما يبينه إسماعيل حقي: «هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره؛ إن حسنًا، وإن قبيحًا، وإن سارًا، وإن ضارًا»(١).

فالقدوة من حيث هي متابعة من المقتدي للمقتدى به في فعله، ويرادفها في المعنى: الأسوة، والتقليد، والمحاكاة، والتشبه.

والقدوة هي أنجح الوسائل للتربية على الإطلاق وأجداها وأنفعها: لأن من السهل تأليف كتاب أو جملة من الكتب تضل حبرًا على الورق، ما لم يترجم إلى أفعال وتصرفات ومشاعر.

يقول الأديب المبدع مصطفى صادق الرافعي: «لو أقام الناس عشر سنين يتناظرون في معنى الفضائل ووضعوا في ذلك مائة كتاب ثم رأوا رجلًا فاضلًا وخالطوه وصاحبوه لكان الرجل وحده أكبر فائدة من كل المناظرة وأدل على الفضيلة من ألف كتاب. ولهذا أرسل الله رسولًا مع كل كتاب»(٢).

والقرآن الكريم أبدى اهتمامًا بالقدوة الحسنة مبينًا تأثيرها في الإيمان، وأمر

(١) روح البيان، ٩/ ٣٨٥.
(٢) وحي القلم، ٣/ ٣٨.

المسلمين بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١].

قال البيضاوي: «قد كان لكم في رسول اللّه أسوةٌ حسنةٌ خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد، أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منًّا حديدًا، أي: هي في نفسها هذا القدر من الحديد، وقرأ عاصم بضم الهمزة، وهو لغة فيه»(١).

ويتجلى هذا الأسلوب في القرآن الكريم بإبراز النماذج الحسنة في التأريخ لكي يقتدي بهم المؤمنون، وكذلك تسليط الضوء على النماذج السيئة من أفراد وجماعات للتحذير منهم ومن أفعالهم.

وهذه القدوة ليست محصورة في زمن النبوة، بل هي باقية ما بقيت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

«إن شخصية الرسول هي القدوة الحسنة الدائمة المتجددة على مر الأجيال والعصور. تظل حيويتها دافعة شاخصة ولا تتحول إلى خيال مجرد. حقًّا كان رسول الله بشخصيته وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وأدابه وتشريعاته، ولما فيه من أسس تربوية إسلامية وأساليب تربوية قرآنية»(٢).

ثانيًا: الحوار:

الحوار هو مبادلة الكلام بين شخصين أو أكثر في صورة سؤال وجواب أو غيره، دون وجود دليل على خصومة بينهما.

وهناك مصطلحات قريبة من معنى الحوار مثل: الجدل والجدال والمجادلة. وفي معنى هذه المصطلحات.

يقول النووي: «الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل، وأصله الخصومة الشديدة، ويسمى جدلًا؛ لأن كل واحد يحكم خصومته وحجته إحكامًا بليغًا على قدر طاقته تشبها بجدل الحبل، وهو إحكام فتله»(٣).

ولكن يبدو أن هناك فروقًا بين هذه المصطلحات، فالجدال يفيد معنى الصراع، لكن الحوار تتسع للصراع ولغيره(٤).

الحوار أوسع مدلولًا من الجدال الذي يفيد معنى الصراع بينما تتسع كلمة الحوار للصراع ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة. فحيثما وجد الجدال وجد الحوار، وليس

(١) أنوار التنزيل، ٤/ ٢٢٨.

(٢) منهج القرآن الكريم في تربية الإنسان، رؤية منظومية، مصطفى محمود حوامدة، ص ٦٩.

(٣) تهذيب الاسماء واللغات، ٣/ ٤٥.

(٤) انظر: منهجية الحوار في القرآن الكريم، محمد عبداللطيف ص ١٨٤.

كلما وجد الحوار وجد الجدال، لأن الجدال ومعه المحاجة يعطيان الحوار قوة العناد للفكرة والإصرار عليها.

وقد وردت مادة حوار في ثلاثة مواضع:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤].

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧].

والحوار هنا وما قبله، يدور بين صاحبين: أحدهما: غني طاغ، والآخر: فقير صابر مؤمن.

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

يقول شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي حول تفسير هذه الآية: «وقوله- سبحانه-: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ جملة حالية، والتحاور: مراجعة الكلام من الجانبين. يقال: حاور فلان فلانا في الكلام إذا راجعه فيما يقوله، أي: والحال أن اللّه تعالى يسمع ما يدور بينك- أيها الرسول الكريم- وبين تلك المرأة، من مراجعة في الكلام، ومن أخذ ورد في شأن قضيتها، والمقصود بذلك: بيان الاعتناء بشأن هذا التحاور، والتنويه بأهميته، وأنه تعالى قد تكرم وتفضل بإيجاد التشريع الحكيم لحل هذه القضية. وعبر- سبحانه- بصيغة المضارع، لزيادة التنويه بشأن ذلك التحاور، واستحضار صورته في ذهن السامع، ليزداد عظةً واعتبارًا»[(١)].

والقرآن الكريم استخدم في آياته ولأغراض تربوية عدة أسلوب الحوار والجدال، منها: تنبيه الغافل أو إرشاد لمسترشد، أو إفحام لمعاند.

وفي القرآن الكريم كثير من نماذج الحوار في قصص الأنبياء مع أقوامهم، وقصص الأقوام السابقين، والحوار بين الله سبحانه وإبليس، والحوار مع الملائكة حول خلق آدم والسجود له، وكل ذلك يدلنا على أهمية الحوار واستخدامه في الحياة.

ثالثًا: القصص:

اهتم القرآن الكريم بالقصة، ونظرًا للأثر الكبير للقصة على أفهام سامعيها، وكونها وسيلة ناجحة وتربوية، وللميل الفطري للقصة لما لها من تأثير كبير، وذكرها بأساليب متنوعة مستخدمًا كل أنواعها.

يقول محمد قطب: «يدرك الاسلام الميل الفطري إلى القصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.. وهو يستخدم كل أنواع القصة»[(٢)].

(١) الوسيط ١٤/ ٢٤٥.
(٢) منهج التربية الإسلامية، ١/ ١٩٣.

وكون القرآن الكريم كتاب هداية، فقد استخدم أسلوب القصة لهداية الناس وتحذيرهم وتنبيههم من الغفلة ومن مخاطر الدنيا وويلاتها ومصائبها. وأغلب القصص القرآنية من حوادث الغيب المتعلق بالماضي، والمؤمن عليه الإيمان بالغيب. فالقصة تربينا على الإيمان بها. قال تعالى معلقًا على قصة كفالة زكريا لمريم: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران:٤٤].

قال الرازي: «كان معلومًا عندهم علمًا يقينيًّا أنه ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة، وهي وإن كانت في غاية الاستبعاد إلا أنها نفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع ولا قراءة، ونظيره ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص:٤٤].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٦].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف:١٠٢].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]»[(١)].

وقد أبرز القرآن الكريم أهمية القصص الإيجابية، وتأثيرها النفسي والأخلاقي في التربية وتهذيب النفس البشرية.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣].

فقد سمى الله سبحانه قصة يوسف بأحسن القصص لما اشتملت عليه من مواعظ ودروس وعبر في كيفية التعامل الأب مع الأولاد، ومواجهة النفس والشيطان وغيره من العبر.

يقول السعدي: «﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورونق معانيها، ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محض منة من الله وإحسان»[(٢)].

والقرآن مليء بالقصص الهادفة كقصة يوسف ونوح وإبراهيم وأصحاب الكهف ومريم وغيرها. وقد ركزت القصة في القرآن

(١) مفاتيح الغيب، ٨/ ٢١٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ١/ ٣٩٣.

الكريم على الجوانب الروحية والخلقية التي تعمل على تزكية الروح والنفس، وترقية الوجدان وترسيخ الفضائل، وهي تهدف أيضا إلى تثبيت الفؤاد والتفكر والإعتبار[1].

يقول الشيخ محمد عبدة: «إن قصص الأنبياء والأمم الواردة في القرآن الكريم لم يقصد بها سرد الوقائع مرتبة حسب أزمنتها، وإنما المراد بها: الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب لها وبيان النقم بعللها لتتقي من وجهتها، ومتى ما كان هذا هو الغرض من السياق، فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التربية وأدعى إلى التأثير»[2].

رابعًا: الترغيب والترهيب:

آيات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم أكثر من أن تحصى.

فقد استخدم القرآن الكريم لكل عمل صالح ترغيبًا فيه بيان ثوابه، وعلى فعل كل سيئة ترهيبًا يتضمن بيان عقابه، سواء كان العقاب في الدنيا أو في الآخرة.

ففي الترغيب في العمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠].

ما أجمل قول سيد قطب في تفسير الآية حين يقول: «وبمناسبة الحساب والجزاء قرر الله سبحانه ما كتبه على نفسه من الرحمة في حساب عباده، فجعل لمن جاء بالحسنة وهو مؤمن- فليس مع الكفر من حسنة!- فله عشر أمثالها. ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، لا يظلم ربك أحدًا ولا يبخسه حقه»[3].

وفي الترهيب من ترك الصلاة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[الماعون:١-٧].

قال سيد قطب: «إنه دعاء أو وعيد بالهلاك للمصلين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾، فمن هم هؤلاء الذين هم عن صلاتهم ساهون!

إنهم ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

إنهم أولئك الذين يصلون، ولكنهم لا يقيمون الصلاة.

الذين يؤدون حركات الصلاة، وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات. إنهم يصلون رياء للناس

(١) انظر: فصول في تدريس التربية الإسلامية. حسن جعفر الخليفة وكمال الدين محمد هاشم، ص ٣١.

(٢) طرق تعليم التربية الإسلامية، محمد عبدالقادر أحمد، ص٦٢-٦٣.

(٣) في ظلال القرآن، ٣/ ١٢٤٠.

لا إخلاصًا لله. ومن ثم هم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها»[١].

خامسًا: ضرب الأمثال:

ضرب المثل من الأساليب التربوية الناجحة، فهو «يعتمد على تصوير المعاني وتحليلها بضرب الأمثلة والتشبيهات، وهذا الأسلوب له دور في التربية أبلغ أثرًا من مجرد التلقين المباشر، لأنه يثير عواطف المتلقي ويحرك مشاعره، ويجسد المعاني مما يجعله تسهل في الفهم وترسخ في الذهن»[٢].

وقد أطلق علماء البلاغة على الأمثال بالمصطلح القرآني عبارة (التشبيه التمثيلي).

يقول محمد أبو زهرة: «يعرف علماء البلاغة التشبيه التمثيلي بأنه جعل أحد الشيئين في مقام الشيء الآخر لأمر مشترك بينهما، والأمثال القرآنية باب من أبواب التشبيه التمثيلي، وقد جعلها الله من ينابيع الاستدلال في القرآن»[٣].

الأغراض التربوية للأمثال في القرآن الكريم:

١. استخدام الأمثال لتقريب المعاني.

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ولكن ذكر مسائل صعبة الإدراك على الناس، فاحتاج إلى التوضيح لتقريب هذه المعاني إلى أذهان الناس. يقول الباحث يزيد الحمزاوي: «كانت أغلب الأمثال القرانية في العقائد والإيمانيات، أما المعاملات والسلوكيات فقد كثرت أمثالها في السنة النبوية، فالأمثال تلعب دورًا هامًّا في تحويل الغيبيات إلى مشاهد حاضرة أمام العيان، حتى لا يشرد الخيال بعيدًا في إدراك الحقائق كما هي»[٤].

٢. ضرب المثل لإقناع المخاطب واستثارة تفكيره.

القرآن الكريم كتاب هداية للناس، عندما يريد استثارة التفكير للتأمل يستخدم لذلك الأمثال، «فالأمثال ساقها الله في القرآن للناس لتكشف الغامض أمامهم وتقنعهم بما يساق لهم من الدليل الواضح الناتج عن الموازنة الحسية، أو المعنوية الدقيقة التي لا تدع مجالًا للشك»[٥].

ومن خلال التفكر في معنى المثل يصل الإنسان إلى معرفة الله بمعرفة آثاره الدالة عليه، فالعقلاء العالمون هم الذين يصلون ببصيرتهم إلى هذه المعرفة، عندئذ يخشونه حق خشيته ويتعظون بالحوادث

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٩٨٥.
(٢) فصول في تدريس التربية الإسلامية، حسن جعفر خليفة وكمال الدين محمد هاشم، ص٢٧.
(٣) القرآن المعجزة الكبرى، ص٢٦٠.
(٤) المدولات التربوية للأمثال القرآنية، ص٤٥-٤٦.
(٥) الأمثال في القرآن الكريم خصائصها التربوية وسماتها التربوية،سامي عطا حسن، ص١٨.

والأمثال وينتفعون بما فيها من عبر وأحكام، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

والنسيان من طبيعة الإنسان، والمثل يعمل على ترسيخ الأفكار في الذاكرة وصعوبة نسيانها. قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤].

٣. ضرب المثل للترغيب والترهيب.

المتأمل لآيات الترغيب والترهيب يجد في بعضها ضربًا للأمثال، وذلك لكي يتأكد وقوعه في القلب.

يقول الشيخ مناع القطان: «يضرب المثل في الترغيب في الممثل، حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس، ويضرب المثل للتنفير أو الترهيب ويكون الممثل به مما تكرهه النفوس»(١).

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١].

٤. ضرب المثل لإبراز النموذج للإعتبار أو لإبراز القدوة.

استخدم معنى المثل لغرض إبراز نموذج ما، للاقتداء به أو للنفور منه في عدة آيات من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٣].

يقول سيد قطب: «وكذلك يضع لهم القواعد التي يقيسون إليها أنفسهم وأعمالهم. فيعلمون المثل الذي ينتمون إليه ويقاسون عليه. ولا يحتارون في الوزن والقياس! ذلك الأصل الذي قررته الآية الأولى في السورة، يرتب عليه توجيه المؤمنين لقتال الكافرين. فهم على الحق الثابت الذي ينبغي أن يتقرر في الأرض، ويستعلي ويهيمن على أقدار الناس والحياة ليصل الناس بالحق وليقيم الحياة على أساسه. والذين كفروا على الباطل الذي ينبغي أن يبطل وتذهب آثاره من الحياة»(٢).

(١) مباحث في علوم القرآن، ص٢٨٨.

(٢) في ظلال القرآن، ٦/ ٣٢٨١.

مما سبق عرفنا مدلول المثل وأهميته وتوظيف القرآن الكريم له بأساليب شتى لخدمة أغراض تربوية.

سادسًا: العبر والمواعظ:

اهتم القرآن الكريم بأسلوب الموعظة كعامل محفز وباعث على أعمال الخير:

يقول الدكتور عبدالله ناصح علوان عن هذا الأسلوب: «من أهم الأساليب التي يسلكها القرآن الكريم في نصائحه ومواعظه، وهي أساليب متنوعة لها إيحاءاتها المؤثرة وحساسياتها البالغة واهتزازاتها الضاربة على أوتار القلوب»(١). وقد راعى القرآن الكريم في أسلوب الموعظة، عدة أمور منها:

١. أن تكون النصيحة بالسر؛ لأن تأثر الكلام والنصيحة بالسر أبلغ وأقوى. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[النساء:٦٣].

٢. أن تكون النصيحة بأحسن ما يمكن متخيرًا أحسن الألفاظ. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

٣. أن يكون الناصح من العاملين بالنصيحة قبل أن ينصح به غيره. يقول تعالى مذممًا أشخاصًا يقولون ما لا يفعلون: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤].

(١) تربية الأولاد في الإسلام، ٢/ ٣.

التربية بين القرآن والمناهج البشرية

بعد أن سلطنا الضوء على التربية القرآنية وعرفنا خصائصها ووسائلها، استكمالًا للفائدة نبحث عن نقاط الاختلاف والاتفاق بينها وبين التربية في المناهج البشرية قديمها وحديثها، وذلك من حيث النقاط التالية:

١. المصدر.

فالتربية القرآنية مصدرها الله تعالى خالق الكون وخالق الإنسان، فهي بذلك مبرأة من كل عيب ونقصان يعتري المناهج التربوية البشرية. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٢. المبادئ العامة.

يتجلى المبدأ الواضح للتربية في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالتربية القرآنية تعرف الإنسان بخالقه وتنظم العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق. بينما التربيات والأفكار الأخرى تتخبط في أفكارها:

«مبدأ الفلسفة الطبيعية هو أن الطبيعة الذاتية هي التي ترعى وتهذب السلوك للأفراد، أما المثالية فأمنت بوجود أفكار عامة ثابتة مطلقة مستقلة من عالم الخبرات اليومية ومقرها العالم المثالي، والحقيقة النهائية توجد في عالم الأفكار أو عالم الحقيقة المطلقة، ومبدأ الواقعية هو أن الواقع يشمل الحقائق جميعها وهو عالم مستقر وثابت، في حين نظرت البراجماتية إلى أن العالم نسبي غير ثابت وفي حالة تغيير مستمر»[١].

٣. النظرة إلى التربية.

تربية القرآن الكريم للإنسان تربية شاملة لروحه وعقله وجسده ونفسه، بحيث تخلق التوازن المسمى بالتكامل، بخلاف التربيات الأخرى:

تقول الدكتورة ليلى البيومي: «فالتربية اليونانية مثلًا قد اهتمت اهتمامًا بالغًا بالجانب العقلي للإنسان في الوقت الذي أهملت فيه بقية الجوانب الأخرى، في حين أن التربية الرومانية ركزت اهتمامها على الجانب الجسمي مقابل إهمال غيره من الجوانب. أما التربية المسيحية فقد عنيت كثيرًا بالجانب الروحي للإنسان على حساب غيره من الجوانب الأخرى، وهكذا»[٢].

فالتربية التي ركزت على القوة والجسم

(١) التربية من وجهة نظر الفلسفات الفكرية والتربية الإسلامية، المعتصم بالله الجوارنة، بحث منشور في موقع تربيتنا بتأريخ ١٤/١/١٤٣١هـ.

(٢) نموذج التميز بين التربية الإسلامية والغربية، ليلى البيومي، مقال منشور على موقع المسلم بتأريخ ٢٠/٧/١٤٢٧هـ.

وحدها، ولم توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، كانت وبالًا على قومها وشرًّا أصاب غيرها [١].

٤. النظرة إلى القيم.

المقصود بالقيم والمباديء الإسلامية: «توجيهات الإسلام في مختلف شؤون الحياة، والتي تقوم أساسًا على التعامل مع الفرد والجماعة والجماد والحيوان. فمن ذلك: الإخلاص والإتقان في العمل، الصدق، الأمانة، الشفقة، الرحمة، الرفق» [٢]. فالقيم القرآنية لا تتغير بتغير الزمان والمكان: فقيم الصدق والأمانة والوفاء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

بينما ترى الفلسفة الطبيعية أن القيم متغيرة، والفلسفة المثالية ترى أن القيم لا تتغير، والفلسفة البراجماتية ترى أن قيم الحق تتغير بتغير الزمان والمكان [٣].

٥. أساليب التربية.

رأينا في مبحث أساليب التربية في القرآن تنوعًا وتجددًا في الأساليب من التربية بالقدوة إلى أسلوب القصة والعظة والترغيب والترهيب. وهو ما يميز التربية القرآنية عن غيرها من التربيات. فالأساليب والوسائل التربوية التي أشار إليها القرآن الكريم متعددة ومتنوعة وترك اختيار الأسلوب المناسب لتنفيذها لحكمة المربي وخبرته بما يتوافق والحالة التي يتعامل معها والبيئة المحيطة به والظروف المتغيرة على مر الزمن ووفق قواعد وأسس تقوم على ركائز (العقيدة – العبادات – الأخلاق) [٤].

٦. الهدف من التربية.

التربية القرآنية تدعو الإنسان إلى أن يرتبط بخالقه وتسلك سلوكًا يتفق مع عقيدة الإسلام، وهذا معناه اشتمال التربية على العملية التربوية والتعليمية معًا، سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع. ولكن المناهج التربوية الأخرى تفصل بين التربية والتعليم.

تتميز التربية القرآنية عن غيرها في أنها: «تسعى إلى ايجاد الإنسان الصالح بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني الإنسانية، فهي تنمي في الإنسان المسلم حسن التعامل مع كل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم على أنهم بشر خلقهم الله عزوجل، وأن مقياس التفاضل بينهم ما قرره الله عزوجل في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا

(١) انظر: تربية المسلم في عالم معاصر، يوسف عبدالمعطي، ص ٤١.
(٢) التوجيه الإسلامي لأصول التربية، عبدالرحمن الحازمي، ص ٢٠٤.
(٣) انظر: التربية من وجهة نظر الفلسفات الفكرية والتربية الإسلامية، المعتصم بالله الجوارنة، بحث منشور في موقع تربيتنا بتأريخ ١٤/ ١/ ١٤٣١هـ.
(٤) انظر: إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية، داود درويش حلّس، ص ٢٦.

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣]»[1].

فالهدف من التربية في المناهج البشرية هو إعداد المواطن الصالح، أي: الصالح لوطنه ولمجتمعه فقط، وليس صالحًا للمجتمعات الأخرى، بينما يهدف منهج القرآن الكريم إلى إعداد الإنسان الصالح. وفي مبحث الغاية من التربية، تكلمنا عن الإنسان الصالح واهتمام القرآن الكريم بتربيته.

موضوعات ذات صلة:

التربية، الدعوة، الترهيب، النصيحة

(١) الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ص ٢٣-٢٤.